التعريف بالعلمانية وأثرها على التعليم في مصر

الأستاذ الدكتور/ أحمد رمضان
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالمنصورة – قسم العقيدة والفلسفة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فلكل دولة طابع يميزها عن غيرها نتيجة التجارب التاريخية الخاصة التي انبثقت من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة بالمجتمع.

والغرب له طابعه الخاص الذي يختلف عن الطابع العام للشرق. فعلى سبيل المثال ارتبط تقدم الغرب بفصل الدين عن الدولة، بينما ارتبط تقدم الشرق بقوة الدين، وإن كان هناك اختلاف بين طبيعة تقدم كل منهما، من تقدم مادي في الغرب إلى تقدم مادي وروحي في الشرق إبان الحضارة الإسلامية. والمنهج الذي اتبعه الغرب في التقدم والتحضر جوهره العلمانية. وهذا التقدم الذي كان ثمرة عدة قرون من التنوير والنهوض، جعل الكثير من مفكري العالم الإسلامي يتأثرون بدرجة كبيرة مع مفكري أوروبا في المنهج الذي اتبعوه للنهوض ببلادهم.

وهذا البحث يشتمل على ما يلي:-

أولاً-التعريف بالعلمانية.

ثانياً- تطبيقات العلمانية على التعليم في مصر .

أولاً: التعريف بالعلمانية.

١ – تعريف العلمانية:

يعد مفهوم العلمانية من أكثر المفاهيم خلافية منذ نشأته حيث يقدم كل مفكر تعريفاً مختلفاً للعلمانية حسب رؤيته وموقفه منها وحسب الحقبة التاريخية التي يمثلها كل مفكر.

أولاً: التعريف اللغوي للعلمانية:

إن كلمة علمانية بالعربية هي ترجمة لنظيرتها الإنجليزية secularism وأصلها اللغوي secular وهي مشتقة من كلمة لاتينية في العصور الوسطى saeculum والتي تعني الجيل أو العصر أو الزمن، كما استخدمت في اللاتينية المسيحية للإشارة إلى العالم في مقابل الكنيسة(١).

ويمكن التمييز هنا بين الترجمة العلمانية لنظيرتها الإنجليزية secularism ونظيرتها الفرنسية laicite، فالعلمانية في اللغة العربية ترجمة للمصطلحين في الإنجليزية والفرنسية في نفس الوقت، لكن العلمانية الإنجليزية أقل حدة من نظريتها الفرنسية. فالعلمانية الإنجليزية تعني (الزمانية) أي: الاهتمام بهذا الزمن لتحقيق الرفاهية كما عرفها "جورج هوليوك" (١٨١٧–١٩٠٦م)، بينما العلمانية الفرنسية تعني (اللادينية)؛ حيث ممارسة أي طقوس أو مظاهر دينية في المجال العام الفرنسي محظور. ويمكن التفرقة بين العلمانيتين الإنجليزية والفرنسية بنفس المعيار الذي وضعه المسيري بتقسيم العلمانية إلى جزئية وشاملة. فالعلمانية الإنجليزية جزئية، والعلمانية الفرنسية شاملة(٢).

(١) انظر: د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. المكتب العربي للمعارف. ط١. القاهرة ٢٠١٣م. ص١٢، ١٣.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق. ص١٤، ٢٢.

وقد عرفت الموسوعة البريطانية كلمة *secular* على أنها: ما يتعلق بما هو دنيوي أو زماني أو ما ليس ديني مثل الموسيقى أو ما ليس كهنوتي التنظيم مثل المحاكم. غير محكوم بالاعتبارات أو القواعد الرهبانية الخاصة.

ويعرف قاموس (وبستر العلمانية) *secularism* على أنها: اللامبالاة أو الرفض أو الاستبعاد للاعتبارات الدينية.

وأما قاموس أكسفورد فقد عرف العلمانية *secularism* على أنها: العقيدة التي تؤمن بأن الدين يجب ألا ينغمس في مؤسسات الدولة أو مؤسسات التعليم وغيرها من المؤسسات العامة.

كذلك عرف قاموس (كامبريدج) العلماني *secular* بأنه ما ليس له علاقة بالدين[١].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للعلمانية:

إن المفكر البريطاني (جورج هوليوك) هو أول من أطلق مصطلح العلمانية في الغرب وذلك عام ١٨٥١م حيث عرف (هوليوك) العلمانية أنها: تحقيق رفاهية وسعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا عن طريق وسائل مادية؛ مثل: التقدم العلمي، مع التأكيد على أن العلمانية لا تعادي الدين ولكنها نظرة لهذا العالم المحسوس والواقعي مستقلة عن الدين وعن أي حياة أخرى لا يمكن التأكد من وجودها من عدمه[٢].

ولقد عرفت لغتنا العربية أول ترجمة لمصطلح (العلمانية) في معجم عربي فرنسي، كان أثراً من آثار الحملة الفرنسية على مصر.. فواضعه – لويس بقطر المصري – كان من الذين رحلوا إلى فرنسا مع جيش الحملة الفرنسية المنهزم، ودرس هناك العامية المصرية.. وأصدر معجمه هذا سنة ١٨٢٨م.. وفيه ترجم الكلمة الفرنسية *Laique* بـ (علماني).. من العلم – نسبة إلى (العالم)، باعتباره (الدنيا) المقابلة (للدين)، للتعبير عن مذهب الوضعية الغربية الذي يقيم (ثنائية – التناقض) بين (الدين) وبين

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٥.
(٢) انظر: د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص١٦.

(العمران الدنيوي) [1]. ثم استخدم المصطلح، بعد ذلك في العربية ترجمة للكلمة الإنجليزية *Secularism*.

أن العلمانية هي جملة من التحولات التاريخية السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والأيديولوجية، وأنها تندرج في أطرأ وأوسع من تضاد الدين والدنيا، بل إنها تابعة لتحولات سابقة عليها في مجالات الحياة المختلفة. وهذه العلمانية لها وجوه منها، وجهاً معرفياً ويتمثل في نفي الأسباب الخارجة على الظواهر الطبيعية أو التاريخية، وفي تأكيد تحول التاريخ دون كلل. ووجهاً مؤسسياً يتمثل في اعتبار المؤسسة الدينية مؤسسة خاصة كالأندية والمحافل. ووجهاً سياسياً يتمثل في عزل الدين عن السياسة. ووجهاً أخلاقياً وقيمياً يربط الأخلاق بالتاريخ والوازع بالضمير بدل الإلزام والترهيب بعقاب الآخرة. ولكل من هذه أشكال ومناسبات مع وقائع التاريخ المحيطة بها[2].

فالعلمانية لا تستبعد الإرشاد والتوجيه الديني للأفراد، وتستأثر بهذا الدور لنفسها، ولكنها تقوم بهذا الدور على صعيد الحياة القائمة وتحقيق الرفاهية فيها للإنسان[3].

– وأخذت العلمانية في الغرب الحديث عدة معان: ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر تعني (فصل الدين عن الدولة). وفي القرن التاسع عشر تحولت إلى (إبعاد الدين عن الدولة). وجاء القرن العشرين ليخفف قليلاً من موقف الدولة والأفراد تجاه الدين[4]، ويتمثل هذا التغير الطفيف في عودة السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية في عام (١٩٢٥م)، بإعادة قيام دولة الفاتيكان كوحدة سياسية بعد أن أدمجت الولايات

---

(١) انظر: د. السيد أحمد محمد فرج. (علماني وعلمانية، تأصيل معجمي). مجلة (الحوار) عدد ٢. سنة ١٩٨٦م. ص١٠١-١١٠.

(٢) انظر: د. عزيز العظمة. العلمانية من منظور مختلف. ط١. مركز دراسات الوحدة المربية. بيروت ١٩٩٢م. ص٣٧.

(٣) انظر: د. مي سمير عبده المتولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص ١٦.

(٤) انظر: جون هرمان راندال. تكوين العقل الحديث. ترجمة: د. جورج طعمة. ج١. دار الثقافة - بيروت ١٩٦٥م.

البابوية في مملكة إيطاليا منذ عام (١٨٧٠)، ويتمثل هذا التغير أيضاً في السماح بقيام الأهداف السياسية المسيحية في أكثر من دولة من دول الغرب[١].

ومن خلال تعريفات العلمانية في المعاجم الغربية نجد أنها تتفق جميعاً على وجوب إخراج الدين من الصراع السياسي والاجتماعي بشكل عام، لكنها لا تتعرض للإيمان الفردي أو تعادي فكرة التدين، هي فقط تسعى إلى عدم انغماس الدين في الحياة العامة حتى لا يتعارض ولاء الفرد للدين مع ولاؤه للدولة، وحتى لا تحدث صراعات بين الأفراد المختلفين مذهبياً ودينياً في المجتمع، خاصة وأن المجتمع الأوروبي شهد مجموعة من العوامل التي دفعت كثيرين للمطالبة بالعلمانية وإخراج الدين من الساحة الاجتماعية نهائياً[٢].

والعلمانية كما يقول د/ فؤاد زكريا إطار فضفاض شديد الاتساع، يمكن أن يحتوي في داخله على شتى أنواع المواقف السياسية والأيدولوجيات. فمن الممكن أن يكون هناك علماني يميني وعلماني يساري، وعلماني ليبرالي وعلماني ماركسي، وعلماني متدين وعلماني غير متدين. وهكذا فإن العلمانية لا تكشف لنا عن الطريق الذي ينبغي أن نسير فيه، وإنما تشير بوضوح إلى الطريق الذي ينبغي أن نتجنبه، ثم تترك لنا بعد ذلك حرية اختيار المسار[٣].

ويعرف العلمانية (شبلي العيسمي) بأنها: " هي جملة من التدابير جاءت وليدة الصراع الطويل بين السلطتين الدينية والدنيوية في أوروبا، واستهدفت فك الاشتباك

---

(١) انظر: تاريخ البشرية. المجلد السادس، ج٢. ترجمة: عثمان نويه وآخرين. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م. ص٢٩٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص١٥، ١٦.

(٣) انظر: د. فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر. القاهرة - باريس. ١٩٨٩م ص٨٠.

بينهما، واعتماد فكرة الفصل بين الدين والدولة، بما يضمن حياد هذه تجاه الدين، أي دين، ويضمن حرية الرأي.. ويمنع رجال الدين عن إعطاء آرائهم.. صفة مقدسة[١].

– فالعلمانية هي بمثابة نقطة الانطلاق التي بدأ الفكر السياسي الأوربي منها إسهاماته الهامة فيما يتعلق بالدولة والفرد والمجتمع، وهي دعوة لتحرير كل من الدولة من سيطرة الكنيسة وتحرير الفكر الأوربي من الدوران في فلك دراسة العلاقة بين الدين والدولة مما جعله يضع نظريات سياسية أثرت في العالم كله، بالإضافة إلى بقاء واستقرار هذه النظريات قرون طويلة حتى شكلت العقيدة السياسية الغربية وأصبحت راسخة في الوجدان الأوربي[٢].

يقول المستشرق (أريري) في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها: إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية[٣].

وباختصار: العلمانية تعني عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد. وظهرت في المجتمع الأوربي كرد فعل مضاد لتسلط الكنيسة التي جمعت في يدها كل شؤن الحياة من سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية.

٢ – نشأة العلمانية:

لقد كانت النهضة الأوربية في مجموعها رد فعل للكبت الواقع على الإنسان بفعل التصور الكنسي للدين، والممارسة الكنسية له، وإذا كان الغالب على ردود الفعل هو

---

(١) انظر: د. شبلي العيسمي. العلمانية والدولة الدينية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٦م. ص ١٩.

(٢) انظر: د. مي سمير عبده المتولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. ص ٥٤.

(٣) انظر: د. محمد مصطفى الشناوي، د. خالد إبراهيم حسب الله. المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية. ١٩٩٧م. ص١١١.

الاندفاع لا التعقل ولا التبصر ولا الروية ولا الاتزان.. فقد اندفعت أوربا في نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية (سواء كانت إلهية حقاً أو مدعاة من قبل الكنيسة) وتضع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان. كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتضع بدلاً منه ما يتصل بالحياة الدنيا. بهذا أصبح الطابع المميز للفكر الأوربي منذ النهضة هو التمرد على الدين والتمرد على الله[١]. وكانت هذه هي بداية (العلمانية) بالتعريف الأوربي.

وعندما سار الإنسان الأوربي على الخط العلماني استمر في الهبوط وبحث عن مصدر آخر للقيم الإنسانية غير الدين. وعلى هذا يمكننا فهم فلسفة (أوجست كونت) من ناحية، وأفكار (جان جاك روسو) من ناحية أخرى. فكلاهما يجهد نفسه ليقول للذين يقفون مدافعين عن الدين: لقد وجدنا مصدراً آخر تتبع منه القيم الضرورية لحياة الإنسان غير الدين، وجدناه في (الطبيعة) وفي (النفس البشرية) [٢].

وفي الوقت ذاته اتجه هذا (الفكر المتحرر) إلى عبادة الطبيعة بدلاً من عبادة الله، ونسبوا الخلق إليها بدلاً من الله. وفي نفس الوقت اتجه الفن إلى مناجاة الطبيعة بدلاً من مناجاة الله، وتأليهها بدلاً من تأليه الله، ومضى الزمن وجاءت الثورة الصناعية.. وجاء مزيد من إبعاد الدين عن الحياة حيث أحدثت الثورة الصناعية هزات عنيفة في حياة الناس وذلك بإخراج المرأة إلى العمل وإفساد أخلاقها وإفساد أخلاق الرجل معها، واستغلال قضية المساواة مع الرجل في الأجر لبث روح الصراع في نفس المرأة، وما نتج عن ذلك كله من تحطيم الأسرة، وتشريد الأطفال والفوضى الجنسية.. الخ ونسبوا ذلك إلى التطور الذي يهدم ما يشاء من القيم ويلغي ما يشاء[٣].

– أسباب نشأة العلمانية في الغرب:

توجد عدة أسباب أدت إلى نشأة العلمانية في الغرب، وأهمها:

---

(١) انظر: محمد قطب. مذاهب فكرية معاصرة. دار الشروق. ط٦. ١٩٩٢م. ص ٤٥٨.
(٢) انظر: نفس المرجع. ص ٤٦٠.
(٣) انظر: المرجع السابق. ص ٤٦١، ٤٦٢.

أولاً: أخطاء رجال الدين:

١- الجمود الفكري المتمثل في الحجر على العقول. وذلك بالوقوف ضد كل إبداع فكري، وكل كشف علمي. يقول (روجيه جارودي) في تفسير عداء الكنيسة للعلم: " يمكن تعليل الركود العلمي في أوربا المسيحية بذلك الموقف الحذر من الطبيعة التي لا بد أن تصرف الإنسان عن التوجه إلى الله.... هذا هو (أوزيب) عالم اللاهوت ومطران القيصرية بتوجه إلى علماء الاسكندرية قائلاً " نحن لا نولي نشاطاتكم أدنى اهتمام بل نزدري تلك النشاطات التي لا طائل منها ونتوجه بعقولنا صوب اهتمامات أسمى وأرفع " وبعد عشرة قرون يؤكد القديس توما الأكويني هذه النظرية بقوله: "نحن نفضل الحد الأدنى من المعرفة بالأمور الدنيوية الفلسفية"(١).

ولقد توصل (جاليليو) إلى صنع التلسكوب واستخدمه، غير أن ذلك لم يلق اهتماماً يذكر من قبل الرجال الذين كانت لهم خطوة وكلمة مسموعة بين الناس، وكانت ردة فعلهم تنطوي على كراهية وسوء ظن عظيمين، ولقد توقع (جاليليو) نفسه ذلك وكان على علم أكيد بما سيجلبه عمله من حقد وعداوة. لقد رفض بعض الرجال الذين ذاع صيتهم بين الناس أن ينظروا من خلال التلسكوب. وراجع ما حدث لجاليليو وغيره من العلماء من عداء الكنيسة لهم(٢).

٢- الحجر على القلوب المتمثل في تحريف المسيحية.... وذلك مثل صكوك الغفران، وقرارات الحرمان، ومحاكم التفتيش.

٣- عدم صلاحية الدين الكنسي للحياة أو عدم تحقيق العدالة المتمثل في ظلم رجال الدين. وذلك بتحالف الكنيسة مع الظالمين للشعب. واضطهاد الأقليات الطائفية، المتمثل في حروب الكاثوليك والبروتستانت، والمتمثل أيضاً في اضطهاد اليهود من قبل

---

(١) انظر: روجيه جارودي. ما يعد به الإسلام. ص ١٢١.
(٢) انظر: ب داونز. كتب غيرت العالم. ترجمة: أمين سلامة. ١٩٧٧م. ص ٢٢٣، د. توفيق الطويل. قصة الصراع بين الدين والفلسفة. دار النهضة العربية ١٩٧٩م. ص ١٧٩.

الدول الأوربية ككل، ومن يقظة الحركة اليهودية[1]، وكان ذلك نتيجة لعدم صلاحية وقدرة منهج المسيحية (الدين الكنسي) في الحياة. فحاول رجال الدين عندهم تطبيق هذا المنهج وقيادة الدول بناء عليه. ولذا قام نوع من الحكم سمي بالحكم الثيوقراطي، والذي بمقتضاه يحكم الدولة رجال دين يدعون أنهم يحكمونها بناءً على أوامر ونواهي الدين غير المؤهل لذلك، لذا فلا بد أن يدعوا أنهم على اتصال بالسماء، وأن العلم اللدني في حوزتهم هم فقط، هم أصحابه وهم مطبقوه. وهكذا حكم هؤلاء الرجال أوربا لعدة قرون هي قرون العصور الوسطى، ساد فيها الظلام والانغلاق والتخلف سائر أنحاء هذه القارة[2].

– ولو استعرضنا مثلاً كيف تطبق العدالة في المجتمع الإنجليزي، لوجدت أن هذا المجتمع حتى سنة (١٩٢٥م) لم تكن الأنثى هناك تأخذ شيء من تركة حتى ولو كان أبيها وكانت ثروة من مات وله أبناء تعطى لابنه الأكبر ويحرم بما فيه الأبناء من ثروات أبيهم، وكذلك أيضاً لم يكن للزوجة حق في الميراث من زوجها وهو أيضاً لا يرث منها شيء. فانظر إلى هذا الجور والظلم في الوقت الذي تحرم فيه المسيحية الطلاق ومع ذلك فلا يرث الزوجان بعضهم من بعض. وانظر إلى الجور والظلم الذي كان سائد في هذا المجتمع. الأبناء يحرمون من ثروات أبيهم ويستأثر بها أكبرهم والزوجة تعيش في ضياع بعد زوجها ولا تأخذ من ثروته شيء وكانوا يقولون في تحريم ما أوجبه الرب لا يقطعه العبد. وكذلك في هذا المجتمع المسيحي الإنجليزي يورثون الأصول فإذا مات الابن لا يرث أبوه منه شيء ولا أمه. ولك أن تتصور الأب بعد موت ابنه وكذلك الأم قد يكون كل منها بلغ أرزل العمر يستطيع العمل ولا يستطيع العمل ولا الكسب ومع ذلك فليس له حق في ثروة ابنه. إنه نوع من الجور والظلم وإهدار لعلاقة الأبوة وعدم النظر

---

(١) انظر: زكريا فايد. العلمانية النشأة والأثر في الشرق والغرب. الزهراء للإعلام العربي. ط١. ١٩٨٨م. ص ٧١.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص ١٣.

إلى المجهود الذي يبذله الأب في تربية أبنائه. ثم عدل هذا القانون ١٩٢٥م وأعطوا للأنثى نصيب وللأصول نصيب كما قرره الإسلام منذ أكثر من ألف عام[١].

– وكذلك لو نظرنا إلى المجتمع الأمريكي إلى ما قبل سنة ١٩٣٠م كان من له من حقه أن يوصي بما له كله لمن شاء حتى ولو كان التي أوصى لها بالمال عشيقته ولا يجوز لأبنائه ولا لزوجته أن يأخذوا منه شيء ولم يكن القانون هناك ما يمنعه من ذلك. أما الإسلام فلا يجوز للإنسان أن يوصي بأكثر من الثلث ولا يجوز أن يوصي لأحد الورثة حتى بالثلث إلا بموافقة جميع الورثة على ذلك حتى لا ينشأ بينهم الحقد والبغض. وانظر إلى هذه العدالة في الإسلام وقد أخذت أمريكا الآن بهذا القانون. ويطبق هذا القانون في أكثر من ثلاثين ولاية في أمريكا. والعالم الأمريكي (استون) له كتاب في المواريث يعلل في هذا الكتاب لماذا لا يورثون الآباء وتعليله يثير الضحك واسمعوا إلى تعليله فيقول: إن التركة تشبه الحجر، فالحجر يسقط إلى أسفل ولا يرتفع إلى أعلى فهكذا التركة تقسم على الفروع ولا تعطي للأصول. وإنما أردت أن أذكر لكم هذه الأمثلة لكي أتبين لكم أن المجتمعات الغربية المسيحية حينما تدعوا إلى العلمانية فإن ذلك رد فعل طبيعي لنقض العدالة عندهم وليس في قوانينهم وتشريعاتهم ما يكفل لهم تحقيق هذه العدالة[٢].

والخلاصة: أن الدين الكنسي لا يقيم وزناً للحياة. حيث لا يسعى إلى تحسين أحوال البشر على الأرض، أو إزالة المظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تقع عليهم، وإنما يدعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا وترك كل شيء على ما هو عليه، لأن فترة الحياة الدنيا أقصر وأضل وزناً من أن يحاول الإنسان تعديل أوضاعه فيها. إنما يسعى جاهداً إلى الخلاص منها دون أن يعلق بروحه شيء من الآثام. والمتاع ذاته هو من الآثام التي يحاول المتطهرون النجاة منها بالبرهنة واعتزال الحياة.

---

(١) انظر: د. محمد أحمد العلمي. الخلق والإبداع بين الإلحاد والإيمان. ص ١٥٦، ١٥٧.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص ١٥٧، ١٥٨.

بل أكثر من ذلك: إن احتمال المشقة في الحياة الدنيا، واحتمال ما يقع فيها من المظالم هو لون من التقرب إلى الله يساعد على الخلاص. ومن ثم دعت الكنيسة الفلاحين للرضا بالمظالم التي كانت تقع في ظل الإقطاع وعدم الثورة عليها لينالوا رضوان الله في الآخرة، وقالت لهم: " من خدم سيدين في الحياة الدنيا خير ممن خدم سيداً واحداً "[١].

ثانياً: التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

إن التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة في هذين القرنين أدى إلى الفصل بين السلطتين. وكان هو الحل الفلسفي أو الرسمي لهذا التنازع.

ثالثاً: إلغاء الثنائية.

وذلك بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول إلى الاستئثار بالسلطة المنفردة، التي هي سلطة (جماعة العمل) أو (المجتمع) أو (الدولة) أو (الحزب): حسب تحديد بعض اليساريين المتطرفين في مدرسة هيجل.

رابعاً: التقدم العلمي التدريجي:

إن التقدم العلمي بالتدريج في أوربا منذ نهاية القرون الوسطى. هو الذي جرأ أرباب الفكر العلماني على الخروج على وصايا الكنيسة، وعلى الاستقلال في النشاط الإنساني، وحركة المجتمع عن أي رأي يصدر منها، وقالت لهم: " من خدم سيدين في الحياة الدنيا خير ممن خدم سيداً واحداً "[٢].

---

(١) انظر: محمد قطب. مذاهب فكرية معاصرة. ص ٤٥٥.

(٢) انظر: د. محمد البهي. العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق. مجمع البحوث الإسلامية. ص٢٩.

ثانيا: تطبيقات العلمانية على التعليم في مصر.

لقد كان التعليم في مصر عند قدوم الإنجليز إليها في قبضة جامعة الأزهر. يقول (اللورد كرومر) لو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكان أولى. وإذا لم يتيسر فالأمل في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر. وعندئذ سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور.. وإما أن يموت ويختفي[١].

يقول المستشرق (جب): (وفي اثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند) [٢].

ويقول (زويمر) زعيم المنصرين النصارى: " لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية وأنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات.. فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء ".

ومنذ أن تولت سلطة الاحتلال في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢م مقاليد الأمور في مصر وأخذت تعمل على توطيد سلطتها، وتحقيق مخططاتها في الهيمنة الغربية.

– ولكي نتبين أثر هذا التطور الخطير على السياسة التعليمية ينبغي ألا ننسى الطبيعة الاستنزافية لكل احتلال أجنبي، والأهداف الخاصة للإنجليز من احتلال مصر وربطها بعجلتهم الاستعمارية، بالإضافة إلى طبيعة كل من السير (إفلين بارنج) المعروف باللورد كرومر، ومستر (دوجلاس دانلوب)، الذين رسما ونفذا سياسة المستعمر الثقافية بكل دهاء وخبث ومثابرة؛ الأول كحاكم مطلق لمصر مدة أربعة قرن من الزمان

(١) انظر: تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦م. الفقرة ٣. ص ٥.
(٢) انظر: جب، وآخرين. وجهة الإسلام. ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة.

تحت اسم (المعتمد البريطاني)، والآخر باعتباره المتصرف الحقيقي في شئون التعليم المصري قرابة ربع قرن أيضاً باسم (مستشار التعليم) [١].

أولاً: أسس السياسة التعليمية للاحتلال:

١- تقرير لورد (دوفرين) لعام ١٨٨٣م: مما جاء في هذا التقرير لا بد من تقوية قبضة السلطة الجديدة، وعلى النظام الإداري أن يجد الوقت الكافي ليتدعم.. ولمقاومة عوامل التفتت من الداخل ومن الخارج. ومصر كدولة شرقية لا وجود فيها حتى لبذور الحرية الدستورية)، وكل ما تتطلع إليه هو إدارة حازمة نزيهة. فالأمة التي ظلت مستعبدة أمداً طويلاً تتوق بالغريزة إلى قبضة حاكم قوي. فالحكومة المعتدلة من شأنها أن تبعث على الاحتقار والعصيان أكثر مما تبعث على العرفان[٢].

٢- اتجاهات (اللورد كرومر): لقد اعتمد (كرومر) على مجموعة من الخبراء ذوي الأفكار العنصرية الضيقة، من أمثال (ألفريد ليل) الذي قرر كرومر كتابه (دراسات آسيوية) كنص إجباري على جميع الموظفين البريطانيين؛ وفيه يقول: " إن الإسراع بإدخال أفكار المساواة والتنظيمات الغربية في مجال التربية والتجارة، يمكن أن يؤدي إلى إضعاف التركيبات التقليدية في البلاد المستعمرة في الشرق، مسبباً بذلك فقدان بعض المزايا الوطنية المفيدة، ويحفر بالتالي هوة خطيرة تعزل سلطة الاحتلال المجردة من الأعوان والوسطاء.. "[٣]. ومن أمثال مستر (ليكي) الذي يقول: " إن الخطأ الأكبر في تعليم الفقراء هو أنه في الأغلب تعليم أدبي بالغ الطموح، إن التعليم الأولى يجب أن يعلم الفقراء أن يحسنوا الكتابة والحساب، أما بخلاف ذلك فيجب أن يكون التعليم فنياً

---

(١) انظر: د. حسن الشافعي. في فكرنا الحديث والمعاصر ج١. العوامل والمؤثرات. ط٢. دار العدالة للطباعة والنشر. ص ٨٧، ٧٩.

(٢) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٣م. ص٣٦٢.

(٣) انظر: نفس المرجع. ص ٣٦٤.

وصناعياً بأكثر مما هو أدبي، ويجب أن يهتم بملاحظة الحقائق بأكثر من اهتمامه بأي صورة من صور التفكير المنطقي أو إبداء الرأي "[١].

ثم يقول: " إنه من الأهمية بمكان أن يبت في كل مشكلة في ضوء المعرفة والخبرة الغربيتين بالإضافة إلى بعض الاعتبارات المحلية، وذلك انطلاقاً مما نرى أنه من الأفضل للجنس المحكوم.... وقد نصل إلى نوع من الولاء القائم على الاحترام للمواهب الأرقى والقيادة غير الأنانية.... وفي محاولتنا الهادفة إلى طبع العقلية الشرقية بعاداتنا الفكرية يجب أن نتقدم بكل حذر ممكن.... واجبنا الأول هو إقامة نظام يسمح لجمهور السكان بأن يكون محكوماً وفقاً للأخلاق المسيحية[٢].

– والسياسة التي يجب اتباعها إزاء المسلمين – خاصة بعد ثورة الهند المسلمة – واحدة هي: " إن الخطوط العريضة التي يجب أن تتناولها الإصلاحات قد أملتها الضرورات التي تعتبر أموراً عامة في الحضارة الأوربية، سواء كان مجال العمل هو الجزائر أم الهند أم مصر أم تونس، أم البوسنة. وتلك هي بلاد المسلمين التي ابتليت بالاستعمار الغربي في آسيا وإفريقيا وأوروبا. ومصر بلد زراعي يجب البعد عن كل ما من شأنه أن يشد الفلاح بعيداً عن أرضه، وترك أوهام التصنيع، والعمل – من خلال التعليم – على إيجاد فئة من الموظفين البيروقراطيين لمعاونة السلطة المحتلة دون تدخل في إصدار القرارات أو تحمل المسئوليات، إذ لا يمكن في نظره بعد مضي أربعة عشر عاماً على الاحتلال أن نجد مصرياً واحداً – أياً كان وبأية وسيلة – قادراً على إدارة آلة بهذا التركيب وهذا التعقيد؛ كالحكومة المصرية الحالية "[٣].

– يلاحظ على أفكار (كرومر) واتجاهاته أنها: تجسد الاتجاهات المعادية للدين واللغة والوطنية التي هي قوام كل ثقافة صحيحة وتعليم جاد[٤].

---

(١) الأيوبي. سياسة التعليم. نشر الأهرام بمصر ١٩٧٨م. ص ٣٦.
(٢) انظر: أنور عبد الملك. نهضة مصر. ص٣٦٦.
(٣) انظر: نفس المصدر. ص ٣٦٨- ٣٦٩.
(٤) انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٤٠/٢٠.

ثانياً: تطبيق السياسة التعليمية للاحتلال:

وفي المجال التطبيقي فرض (اللورد كرومر) على وزراء التعليم المتعاقبين عدداً من الخبراء والمفتشين والمستشارين ذوي الاتجاهات الدينية والامبريالية المتطرفة المعادية لثقافة الشعب ودينه وتطوره الحر. كان من أبرزهم (مستر ويلكوكس) الذي بلغت به القحة أن يتولى بنفسه رياسة تحرير مجلة (الأزهر) في أواخر القرن الماضي، وينشر فيها هجومه على اللغة الفصحى لغة القرآن ويدعو إلى استخدام العامية. وكان أخطرهم (مستر دانلوب) الذي هيمن على شئون التعليم في مصر قرابة ربع قرن، ونفذ سياسة (كرومر) السابق بيانها بحذافيرها، وحين حاول أحد الوزراء الوطنيين – وهو سعد زغلول – مقاومته والحد من نفوذه استدعاه كرومر – في أخريات عهده عام ١٩٠٧م – وقال له حسب رواية سعد نفسه: " إن دانلوب – وإن لم يكن له سلطة ظاهرية – ولكنه يجب أن يكون في الحقيقة ذا سلطة، وإن ما يحرره في مكتبه من الأمور الخاصة خصوصاً بالإنكليز يجب أن يؤخذ قضية مسلمة، وإن التغير الذي حصل في شخص ناظر المعارف (يعني تعيين سعد وزيراً لها) لم يكن القصد منه تغيير طريقة التعليم التي تقررت باتفاقه (أي كرومر) مع (دانلوب)، وإنما الغرض منه: أن يشترك الوطني – العارف بالتربية الإسلامية المصرية، على إدخال الإصلاح، فإن لم يحسن هذا (أي الوزير الوطني) الاشتراك خرج منه، وجرى الإصلاح بدونه.. "[١].

– إن مصر اليوم وهي تستعد للامتحانات السنوية يذكرني بمشهد بلد يستعد للحرب.. ولم تكن الجدة وروح المبادرة تلقي أي تشجيع، وإذا فكر أي مصري أن يجربها فلا يلقي إلا الاستهجان.. لم تفشل الوصاية البريطانية فشلاً زريعاً في أي مجال كما فشلت في مجال التربية[٢].

جوانب تطبيق السياسة التعلمية:

لقد اشتمل تطبيق السياسة التعليمية في مصر على ما يلي:

---

(١) انظر: عبدالعظيم رمضان. مذكرات سعد زغلول. ٢٢٣/١.
(٢) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٩١.

١- أهمل التعليم عمداً، ولم يعد هناك مجال للكلام عنه كوسيلة للوعي الوطني أو الإحساس الإنساني، كما كان الحال أيام رفاعة ومبارك الحقيقية، وأوقفت البعثات إلا لصالح الجهاز الإداري وما يتصل به، ثم قصرت أخيراً على انجلترا، بل ألغيت وزارة المعارف نفسها في بداية عهد الاحتلال كوزارة مستقلة، وألحقت بالداخلية مرة وبالأشغال مرة أخرى. ولم تنل هذه الوزارة أهمية نسبية إلا في آخر عهد كرومر على يد سعد زغلول سنة ١٩٠٦م، الذي قاوم بحنكة وإصرار أساليب دنلوب (المسنود) من السلطة العليا(١).

٢- عمل الإنجليز على تشجيع نوع من التعليم الضحل الذي لا يتجاوز تعليم قواعد الحساب والكتابة الأولية. والتظاهر برعاية (الكتاتيب). على حساب كل من التعليم الابتدائي والثانوي وما بعدهما والتعليم النظري على وجه العموم. والحق أن عدد من الكتاتيب كما يحصيها الخبراء هبط في ١٩٠٨م إلى ٣٦٧٩ وكان قبل الاحتلال في عام ١٨٨٠م يبلغ ٥٥٦٢ كتاباً(٢)، وكانوا يقصدون من هذه الدعاية التظاهرية بحماية نوع من التعليم الإسلامي التقليدي، وإتاحة الفرصة لتعليم أكبر عدد من الناس. والهدف الحقيقي هو تخريج موظفين لا يمكنهم قيادة العمل الوطني في مرافقه المختلفة بل تنفيذ أوامر المحتل، والاستفادة من درس الهند بعد ثورته ضد المحتلين. (إن الهند يقدم لنا الدرس الموضوعي لما يجب تجنبه)، وهذا ما اتبعه (كرومر) وأعوانه دائماً: ".. أريد أن يصبح الجيل المصري القادم كله قادراً على القراءة والكتابة، وأريد بالمثل أن أخرج ما أستطيع من البناءين والنجارين والمخصصين إلخ، ولا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك"(٣).

ثم يقول (كرومر) في تقريره عام ١٨٩٦م: (خلال السنوات الأخيرة وضعت الحكومة نصب عينيها هدفاً ذا شقين: تمثل الأول في الرغبة في نشر شكل بسيط من

---

(١) انظر: نفس المرجع. ص٣٧٦.
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٧١.

التعليم بين السكان رجالاً ونساءً، يتلخص في معرفة مبادئ اللغة والحساب، أما الشق الثاني فكان يتمثل في الرغبة في إعداد طبقة متعلمة ذات مستوى عال يمكن أن تواجه متطلبات الخدمة في الحكومة) [١]. ويعترف (دنلوب) الذي ظل مستشاراً للتعليم إلى ثورة ١٩١٩م بذلك في قوله: " إن نظام التعليم السائد حالياً (أي سنة ١٩٠٦م) في المدارس الحكومية لم يوضع بهدف مواجهة جميع حاجات البلاد في مجال التعليم الأساسي، ولا يمكن اعتباره كذلك. إن إحدى الحقائق المعترف بها هي أن هدفه هو إعداد فئات من المصريين للوظائف الحكومية المختلفة، والمهن الفنية المختلفة على النمط الأوربي "[٢].

٣- لقد أصرت سلطة الاحتلال على أن مصر بلد زراعي فقط، واهتمت من الزراعة بالقطن فقط؛ وذلك للوفاء بحاجات مصانع (لانكشير). وقامت كل محاولة لإدخال الصناعة الحديثة، وحرص (كرومر) على حرمان أي صناعة جديدة من الحماية الجمركية التي كانت إجراءً مألوفاً في ذلك الحين، حتى قال أحد رجال الصناعة الإنجليز: "لولا أنه أعفانا من الجمارك لرفعت (لانكشير) السلاح في وجه الحكومة"[٣].

ومن أجل الهدف نفسه أتم الإنجليز القضاء على النقابات الحرفية والأصناف، أي منظمات الصناعات التقليدية التي كانت قد ضعفت في أيام (محمد علي).

يقول: كرومر متفاخراً قبيل رحيله عن مصر: " إن الفرق ظاهر لكل من يرجعون بذاكرتهم إلى الوراء عشرة أو خمسة عشر عاماً، فبعض الأحيان التي كانت في السابق مراكز حقيقية للصناعات المتنوعة: الغزل والنسج، صناعة الأنشطة، الصباغة، طحن التوابل، وأعمال النحاس، الصناعة الجلدية، السروجية، المصافي، وصناعة الأقفال الخشبية والمعدنية.. الخ كلها قد انكمشت بقدر كبير أو اختفت تماماً، وهناك الآن مقاه أو محلات للمبتكرات الأوربية في الأماكن التي وجدت فيها من قبل ورش مزدهرة ".

---

(١) انظر: نفس المرجع. ص٣٧٠.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٣٧٢.
(٣) انظر: الأيوبي. سياسة التعليم. ص٣٥.

يقول الأيوبي – بعد إيراد النص السابق –: " من الصعب على أي إنسان أن يعمي عن معاداة البريطانيين للحرف والصناعات في مصر. ففي فترة الحكم البريطاني تم توجيه الضربة القاضية إلى النقابات الحرفية، ومع قرب نهاية القرن التاسع عشر ألغيت كافة الضرائب على الأصناف، فذهبت معها آخر الاختصاصات المتبقية لشيوخها، حتى أعلنت عام ١٨٩٠م. الحرية الكاملة لكافة الحرف والصناعات والتجارات، وأطلق عنان القوى العاملة من سيطرة الشيوخ؛ لكي يعملوا مباشرة في المشروعات الرأسمالية الجديدة التي كانت أجنبية في أغلبها "[١]. إن الهدف هو ربط مصر بالرأسمالية الغربية لتتضافر التبعية الاقتصادية مع التبعية السياسية والثقافية.

٤- فرض الرسوم على التعليم في كافة مراحله. فيضمن كل من (كرومر ودنلوب) إبعاد الجماهير الوطنية عنه، واقتصاره على فئة محدودة من ميسوري الدخل يسهل التعامل معها، كما جرى الحد من أعداد المقبولين، وخاصة فيما فوق التعليم الأولى، أعني مرحلتي التعليم (الإبتدائي والثانوي). وللأسباب نفسها قاوم الإنجليز فكرة إنشاء جامعة أو تعليم عال – إلا في حدود الضرورة – لحرصهم على الاقتصار على تخريج (أدوات حية بيروقراطية) على درجة من الكفاءة المكتبية، لكنها لا تملك مقدرة التحليل العقلي للمشكلات أو التفكير المستقبل في حلها.

٥- عمل المحتلون على إضعاف اللغة العربية وتقليصها من مجال التعليم واستصدروا قراراً من (علي باشا مبارك) [٢]. بأن يكون تعليم المواد المختلفة بالإنجليزية سنة ١٨٨٨م، وقد كان الرجل مغلوباً على أمره، ولم يلبث أن استقال وذهب إلى قريته يفلح أرضه، وقد أخذ بعض دعاتهم في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي – عندما أحسوا بنمو الحركة الوطنية – يدعون لاستخدام اللغة العربية في التعليم بدلاً من الإنجليزية، ولكنها العربية العامة أو المصرية الفصحى، لأن هذه الأخيرة في نظرهم لا تتناسب مع متطلبات الدراسة العلمية. لقد " اجتهد كل من (كرومر) و (دنلوب) في جعل

---

(١) انظر: المرجع السابق.
(٢) انظر: وزير المعارف في حكومة مصطفى فهمي.

اللغة العربية لغة أجنبية في ميدان الثقافة الحديثة، وقد كثر الحديث منذ تقرير (دوفرين) عن نظرية عدم فاعلية الثقافة العربية، وكان ذلك – طبعاً – يختص باللغة الكلاسيكية.. ويرى (كرومر) أن ذلك يمثل ثورة حقيقية في ميدان الفلسفة، إن مجرد اكتساب بعض الشبان المصريين معرفة لغوية تتيح لهم دراسة الآداب والعلوم الأوربية قد أسهم بكل تأكيد – إلى حد ما – في خلق عادة التفكير على نحو دقيق، وهي طابع العقلية الغربية بالمقارنة مع العقلية الشرقية "[١].

وقد انطلق أعوانهم يروجون لتلك الفكرة، من أمثال (ويليم ويلكوكس) الذي ألقى محاضرته الشهيرة في نادي الأزبكية سنة ١٨٩٣م، عن (لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين) وكان جوابه: إنها العربية الفصحى، ونشر ترجمتها بعد ذلك في (مجلة الأزهر). وواصل بعد ذلك بحوثه المزعومة، ليصدر في لندن كتاباً مضمونه أن بلاد سوريا ومصر وشمال إفريقية ومالطة تتكلم لغة أخرى غير العربية، وأن على المصريين " أن يتخلصوا من السخرة الثقيلة التي يعانونها من إجراء الكتابة بالفصحى". كما حاول أن يترجم إلى عامية هزلية بعض النصوص من الإنجيل والأدب الإنجليزي[٢]. وشارك في ذلك القاضي (ويلمور) في مفتتح القرن الحالي بكتابة (لغة الحديث في مصر). ومن الأسف أن بعض السوريين العرب مثل إسكندر معلوف أسهم في ذلك، فأثنى اسكندر سنة ١٩٠٣م على سلطة الاحتلال لتغييرها لغة التعليم إلى الإنجليزية، ودعا أن تكون الخطوة الثانية هي استخدام العامية في الصحافة.

وهذه مقالة مؤرخ مصري – قبطي تكشف سر هذه الزوبعة: " إن المسألة لا تتعلق بلغات أوربية وبنماذج للعقليات، وإنما هي تتعلق بإدماج مصر في السوق الاقتصادية العالمية، وفرض بعض العناصر الاجتماعية – الاقتصادية، والأيديولوجية – في المجتمعات البرجوازية الأوربية، من زاوية الاحتلال البريطاني"[٣].

---

(١) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨٠- ٣٨١.
(٢) انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٢/٤٠-٤٢.
(٣) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨١.

٦- إن أخطر إجراءات المحتلين هو تفريغ التعليم من مضامينه الدينية والقومية والوطنية الإنسانية. وقد رأينا سياسة القوم واتجاهاتهم نحو اللغة العربية الفصحى بإلغائها أو مزاحمتها أو تشويهها، فإن عجزوا فلا بأس بتشويه رجالها وتحقيرهم. فكان وضع مدرس اللغة العربية يتحدد في المجتمع، ويصبح مادة للسخرية[١]. وحين يصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة التي يدرسها، وقد كان هذا هو الهدف المقصود. وصارت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور[٢].

- أما عن (مادة الدين) في منهج (دنلوب) فقد كانت أسوأ حظاً (فمدرس الدين هو نفسه مدرس اللغة العربية الذي وضعه (دنلوب) في ذلك الوضع المزري المهين، ولكن يزيد عليه أن أكبر المدرسين سناً هو الذي يوكل إليه تدريس الدين.. وأن حصة الدين توضع في نهاية الجدول المدرسي، فهي في أغلب الأحيان السابعة.. أضف إلى ذلك أن درس الدين في منهج (دنلوب) هو في الحقيقة رقعة في الثوب الدراسي غير متجانسة معه، إن لم نقل متنافرة. فهو ثوب علماني بحت. وزيادة في النكاية لدرس الدين فقد وضعه المنهج الدنلوبي (المواد الإضافية) التي تحذف في جدول الصيف الذي يقتصر على (المواد الرئيسية)، فيحذف منه الدين والرسم والأشغال اليدوية والألعاب الرياضية[٣].

- وأما عن التاريخ فلنستمع لمؤرخ يقول: " وبأمر من (كرومر) لم يعد يدرس التاريخ الوطني الوحيد القادر على التوعية بالأزمة، وأصبح مقرر التاريخ في الصف الرابع الثانوي، وهو الصف النهائي، خالياً تماماً من تاريخ مصر، وتاريخ العالم الشرقي والإسلامي[٤]. وتلك هي المواد الثلاثة التي تصوغ وجدان المثقف وعقله، قبل أية مادة

---

(١) فكان راتب مدرسي اللغة العربية أربعة جنيهاً بينما أي مدرس آخر كان راتبه اثني عشر جنيهاً.
(٢) انظر: محمد قطب. واقعنا المعاصر. ص٢١٩-٢٢٠.
(٣) انظر: نفس المرجع. ص٢٢٢، ٢٢٤.
(٤) انظر: أنور عبدالملك. ص٣٨٩، ٣٩٠.

دراسية أخرى.

– آثار سياسة الاحتلال التعليمية:

توجد عدة آثار لسياسة الاحتلال التعليمية، وأهمها ما يلي:

١– انفصل التعليم عن الارتباط بأي خطة تنموية، او مشروع مصري للنهضة كما كان عليه الحال أيام (محمد علي)، وبدرجات متفاوتة من بعده. كما تقلص التعليم الأدبي الذي ينشئ الفكر ويغذي الروح الوطنية والإنسانية ويصنع القيادات. وهذا ما خطط له المستعمر، وشاء الله – تعالى – ألا يتحقق إلا جزئياً: (إن الضرب على الرأس.. كان يستهدف تقليص الذكاء المصري وإفقار إلهامه وموارده، وضرب الانطلاقة الهائلة التي ظلت طوال القرن التاسع عشر تحمل على ساعديها النهضة الوطنية المصرية، وتزودها بالمفكرين والقادة)[١].

٢– شيوع الأمية: كان (اللورد كرومر) وأدواته في وزارة المعارف يفاخرون بأنهم يعملون على إشاعة التعليم البسيط للكافة، بدلاً من التعليم الطموح لفئة محدودة. ولكن نتج عن إهمال التعليم الرسمي وتقليل ميزانياته واقتصاره على المراحل الأولية غالباً، واستمرار سياسة الانكماش حتى ليقول (ملنر) في تقريره عام ١٨٩٢م: " لقد خفضت ميزانية وزارة المعارف العمومية إلى حد بعيد، ومع أن هذه الميزانية بدأت تتجه نحو الصعود منذ عام ١٨٨٨م إلا أنها الآن (أي في عام ١٨٩٢م) لم تبلغ ما كانت عليه عام ١٨٨٤م) [٢]. وقد نتج عن ذلك شيوع الأمية وتزايد نسبتها، وهو مقياس لا يخطئ لنتائج أية سياسة تعليمية، فصارت (٩١. ٥%) تقريباً بعد ٣٥ سنة من الاحتلال، وكانت عام ١٨٨٤م (٩١%) فقط، وهذا يكشف نفاق السياسة البريطانية في زعمها إشاعة التعليم – حتى ولو كان ضحيلاً فقيراً – بين الجماهير الواسعة.

٣– تدهور التعليم العالي: لقد أصبحت مدرسة المهندسخانة التي أغلقت عام ١٨٨٧م، وأعيد فتحها بعد عامين تمنح دبلومها بقدر الأماكن المتوفرة: ٨ طلاب فقط

(١) انظر: المرجع نفسه. ص٣٧٢-٣٧٣.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٣٧٣.

عام ١٨٩٧م، ٩ طلاب عام ١٨٩٩م، ٢٠ طالباً عام ١٩٠٠م. وقد شهدت مدرسة الطب نفس المصير المحزن فقبل عام ١٨٨٢م كانت تضم ٢٩٠ طالباً وفي عام ١٨٩٧م كان عدد أساتذتها وهم عشرة – كلهم من الإنجليز بإدارة الدكتور الأخرق كيتنجز – يفوق عدد طلابها[١].

أما محنة مدرسة الحقوق فقد كانت عام ١٩٠٦م أيام المواجهة مع مديرها الفرنسي (لامبير) الذي اتهم بتشكيل جماعة الشبان الوطنيين الملتفين حول (مصطفى كامل). وأخيراً تعرضت المدارس العسكرية، وهي المستنبت الحقيقي للكوادر لشتى صنوف العنف من الاحتلال، فلقد ظلت مدرسة عسكرية واحدة مفتوحة الأبواب. وأكثر ما يسترعى الانتباهنا هو توجيه الاختصاصات، فلقد كانت مصر في عهود الخديويين تعطى الأولوية للعلم والدراسات التقنية الحديثة، أما وقد حكمها (كرومر) فقد أجبرت على العدول عن المضي في طريق القوة العسكرية الصناعية، واقتصرت على تكوين الموظفين – مدرسي اللغات ورجال القانون – القادرين على تنفيذ تعليمات السلطة المحتلة لا أكثر[٢].

٤– نفاق سياسة الاحتلال التعليمية في ما أعلنوه من إعداد الموظفين المحليين، كهدف متواضع جداً للتعليم في مصر. لقد كان نسبة المصريين في الجهاز الحكومي في ظل الاحتلال كان ٢٨% فقط، بينما كان ٣٠% للوافدين من الأرمن والشوام واليونان وأمثالهم من الأجانب والمتمصرين، ٤٢% من الإنجليز وحدهم، وهذا يعطي فكرة واضحة عن طبيعة الجهاز الحكومي.

٥– تفاقم ظاهرة الازدواجية والفصام الفكري والثقافي بين خريجي التعليم التقليدي الأزهري والتعليم المدني شبه العلماني، التي بدت بوادرها في أوائل القرن الماضي. حيث استمر الإهمال المتعمد لشئون الأزهر ولم تسفر محاولات الشيخين (المهدي) و (الإمبابي) عن إصلاح حقيقي. وعندما حاول الشيخ (محمد عبده) أواخر القرن الماضي

(١) انظر: المرجع السابق.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٣٧٧-٣٨٠.

التأثير على الخديوي الشاب (عباس حلمي الثاني) أيام اقترابه من الوطنيين لإصلاح شئون الأزهر وكذا القضاء الشرعي والأوقاف، لم تسعفه الظروف لإتمام الإصلاحات الجدية، أعني المناهج ومحتوى العملية التعليمية وأهدافها ووسائلها. واقتصر الأمر على لوائح شكلية وإجراءات تنظيمية، ولم يتغير شيء يذكر في هذه المؤسسة الكبيرة المظلومة من قادتها الجامدين من ناحية، من السلطات الحكومية المعرضة عنها غير المقدرة لخطورتها من ناحية أخرى. بل إن السلطة المحتلة حاولت التدخل في شئون الأزهر لإفساده، غير عابئة بحساسية تدخلها، فعينت مستر (ويلكوكس) رئيساً لتحرير مجلة الأزهر كما سبق ذكره سنة ١٨٩٢م.

٦- ظهور التعليم الخاص والأجنبي منه بوجه خاص، الذي يضم من مؤسسات الإرساليات التبشيرية التي لم تثر حفيظة المسلمين فحسب بل والمواطنين الأقباط أيضاً. فقام البطريرك (كيرلس) بقيادة حركة شعبية مسيحية لمقاومتها في الصعيد وغيره. وخرجت تلك المدارس جيلاً لا يعرف شيئاً عن وطنه وتاريخه وهويته الحضارية، كما يقول أحد العارفين بذلك: " هذا هو شأن جميع الصبية المصريين في جميع المدارس الأجنبية، فالطفل المصري فيها يقوى في لغتها، والإحساسات الأجنبية والأذواق الأجنبية تلصق بعقله الظاهر، وتترسخ في عقله الباطن، وتلازمه متى شب وكبر. وقد ظهرت آثار ذلك في كثير من رجال مصر والشرق وبدأ التباين بينهم: فهذا إنجليزي الطبع والذوق وذلك فرنسي النزعة والمسلك. ومما يوجب الحسرة أن المدارس الأجنبية تلزم بناتنا وأبناءنا مطالعة ما يسمونه التاريخ المقدس، وهو تاريخ الأنبياء من سيدنا إبراهيم إلى سيدنا عيسى، ولا يذكر فيه تاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم[١].

- وقد ساعد على تفشي هذه المدارس الأجنبية - بما تؤدي إليه من اختلال النسيج الوطني روحياً وفكرياً - غلبة الامتيازات الأجنبية في القضاء وغيره من المصالح المالية والاقتصادية في مصر، التي ألحقت بسوق الإنتاج الرأسمالي الغربي، مما جعل

(١) انظر: علوية. ذكريات اجتماعية وسياسية. مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر. القاهرة ١٩٨٨م. ص٣٩.

أمر اللغات مورد زرق مرموق فضلاً عن إتاحة الفرصة للتداخل مع القائمين بالسلطة، وشجع بعض الأباء من المتيسرين مالياً على ذلك ما شاع عنها من انتظام وحسن إدارة. فأغفلوا ما تمثله من خطر ديني ووطني وحضاري.

– وقد كان للإرساليات دور كبير في هذا الصدد، وظلوا مسيطرين ثقافياً طوال القرن الماضي وأوائل الحالي حتى تغير الموقف بعد ذلك لصالح الإنجليزية وكان كل ذلك على حساب العربية والتعليم الوطني ". وبذلت فرنسا مجهوداً ضخماً يفوق كثيراً ما بذلته انجلترا في مجال المؤسسات التعليمية وخاصة الدينية منها، وقد ظل النفوذ الثقافي الفرنسي واضحاً منذ النصف الثاني من عهد محمد علي محتفظاً بتفوقه في ظل الاحتلال، فمع أن الجالية الفرنسية كانت تقل عن الإنجليزية بثلاثين ألف شخص إلا أن مدارسها كانت تضم.... ٢٤ تلميذ مقابل ٣. ٣٠٠ تلميذ في المدارس الإنجليزية. وشهدت الفترة من ١٨٨٩، ١٨٩٩م انتصار اللغة الإنجليزية على اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية، ففي عام ١٨٨٩م فقد اختار ٧٨% الإنجليزية مقابل ٢٢% للفرنسية، غير أن المصالح الاقتصادية الواسعة للفرنسيين في مصر ونفوذ الفرنسية في المحاكم المختلطة وقدم المؤسسات التعليمية الفرنسية في مصر بالنسبة للإنجليزية حافظ على مكانة الفرنسية، وإن كانت الجهود المتوالية للإنجليز ونفوذهم السياسي هيأ للغتهم أن تصبح بعد ذلك هي الأولى، وتتراجع الفرنسية لتأتي بعدها وإن لم تخل لها الميدان.

٧– صبغة التعليم بالطابع الشكلي الجامد رغم تنافره مع ضميره الأمة وجوهر ثقافتها ومع أصول التربية الصحيحة وتطبيقاتها لدى الشعوب المتقدمة. وإلا فقل لي بربك: ألست تلاحظ حتى الآن خطورة الامتحانات العامة حتى لكأن البلد كلها في حالة حرب؟ ألست تلمس أن درس الدين واللغة العربية لا زال على غير ما ينبغي أن يكونا عليه، ولا زال الدين مادة شبه إضافية لا تلتمس لها وسائل التأثير التربوية الكافية أستاذاً ومنهجاً ووقتاً وأسلوباً؟ ألست تلمس في مدارسنا طابع الرقابة الروتينية، وقلة المبادرات، وضعف التقدير للإبداع سواء جاء من جانب التلاميذ أو من أعضاء هيئة التدريس، وأن الإدارة بيروقراطية في الغالب لا تربوية كما ينبغي أن تكون؟ بل ألست تلمس – ونحن

في ظل حكم وطني – أن درس التاريخ ليس هو دائماً الذي يقدح الوعي ويزكي الانتماء الوطني، ألست أيضاً تلمح آثار الفصام الفكري والازدواجية البغيضة المبددة للطاقة الوطنية بين مثقفينا وكافة كوادرنا بسبب اختلاف المشارب والمناهج التعليمية أزهرية ومدنية وأجنبية..؟

الخلاصة:

يمكن القول كما لاحظ بعض مؤرخي الفكر: "لقد ظلت سوءات الإنجليز في تعليم الشعب المصري تؤتي ثمارها البغيضة حتى بعد أن تولى المصريون شئون التعليم. إذ لم يكن من الميسور أن نتخلص من أوزار هذا العهد دفعة واحدة، وقد ظل أكثر من ثلاثين عاماً، وسادت نظمه وقوانينه جميع مراحل التعليم؛ لأن الجيل الذي تربى على أيديهم صار يملك قيادة المصريين في التعليم، ويوجههم تلك الوجهة التي تربى عليها في صغره. ولأن الفساد كان أعظم من أن يزول في سنوات معدودات ولذلك ظلت آثامه ردحاً غير قليل من الزمن تسيطر على المدرسة المصرية "(١).

– ثم ينقل عن الدكتور/طه حسين: " وقد رسم له (أي التعليم المدني) الإنجليز طريقاً محدودة ضيقة، فأفسدوه وأفسدوا نتائجه وآثاره أشد الفساد، ونحن نبذل – منذ أعوام – جهوداً مختلفة مضطربة لإصلاح ما أفسد الإنجليز، فلا نكاد نوفق في بعض الأمور حتى تعدو العاديات فتردنا إلى الإخفاق والخذلان "(٢).

– وسائل علمنة التعليم:

في مؤتمر برنستون (للثقافة الإسلامية الذي عقد في صيف عام ١٩٥٣م بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية، قدم الدكتور / محمد خلف الله بحثاً بعنوان: (القيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة) جاء فيه قوله فيما نحن بصدده: (فقد بدأ القرن التاسع عشر والثقافة مركزة في الأزهر في فروع الدراسة الإسلامية التي كانت تدرس على مناهج القرون الوسطى، والأدب مقصور على الآفاق الضيقة.. ثم اتجه

(١) انظر: أنور عبدالملك. نهضة مصر. ص٣٨٥.
(٢) انظر: عمر الدسوقي. في الأدب الحديث ٢/٢٣-٢٤

النشاط حيناً في أوساط هذا القرن إلى حركة الطباعة ونشر الكتب المترجمة عن الغرب في مختلف العلوم، وبدأت ثورة اللغة العربية تزداد بهذه التراجم، وبدأت عقول المصريين تتنسم أرواحاً جديدة من أدب الغرب وثقافته..) [١].

وتوجد عدة طرق في علمانية التعليم:

١- حصر التعليم الديني وازدراء اللغة العربية:

لقد حصر التعليم الديني مادياً بالتوسع في التعليم العلماني، ومعنوياً بإزدراء اللغة العربية وتمجيد اللغة الأجنبية وساعد في هذا إنشاء المدارس الأجنبية، والتنفير بطالب العلم الديني وبأستاذه وبالتفرقة بين أستاذي الدين، والمواد الأخرى في كل شيء تفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه في الكليات الأخرى[٢].

يقول (طه حسين) في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حول هذه القضية: "فالذين يزعمون أننا نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية، إنما يخدعون الناس، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع، فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين[٣]. يؤمنون بها ويقومون وحدهم من دونها ويتصرفون فيها، لكنها ملك للذين يكتمونها جميعاً من الأمم والأجيال، وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف وإذن فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين

---

(١) انظر: محمد خلف الله. الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة. مؤسسة فرانكين. القاهرة ١٩٦٢م. ص٥٤٠.

(٢) انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٤.

(٣) كلمة (رجال الدين) تعبير غربي مستورد غير وارد في مفهوماتنا معشر المسلمين على مدى أجيال عديدة.

الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار، هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية، جميعاً، وفيهم المسلم وغير المسلم[١].

ويقول (طه حسين) محاولاً عزل اللغة العربية عن الحياة، وربطها بأن تكون لغة دين وطقوس وعبادات فحسب، لا لغة أدب وفكر وحياة: " وفي الأرض أمم متدينة كما يقولون، وليست أقل منا إيثاراً لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه، ولكنها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها. فاللاتينية مثلاً هي اللغة الدينية لفريق من النصارى، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر، والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع.... وبين المسلمين أنفسهم أمم لا تتكلم العربية ولا تفهمها، ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ولغتها الدينية هي العربية. ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيماناً بالإسلام وإكباراً له وذياداً عنه وحرصاً عليه[٢].

٢- الابتعاث إلى الخارج:

إن الابتعاث إلى الخارج يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقاً بقيم الغرب أو الشرق ومثله. وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيعه بطابع غير إسلامية. ثم يصير التطبع مع الزمن طبعاً وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى من تقاليده. في الملبس والمأكل والمشرب وطريقة التعامل ويعدو غربياً. هذا الابتعاث أدى إلى تخريج الأساتذة التي جرى (تفريخ) مبادئهم بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث الجديد، وبغير حاجة إلى جهد غير وطني. وهو ما يصرح به أحد الكتاب الغربيين فيقول: " أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن شخص ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً، فقد أصبح العرب (متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا).

---

(١) انظر: طه حسين. مستقبل الثقافة في مصر. دار المعارف. القاهرة ١٩٤٤م. ص٢٣٠.
(٢) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٩- ٢٣٠.

ومثال ذلك هو الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوي) الذي ابتعث إلى باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربي (لون من العياقة والشلبنة) أي (الفتوة) ثم ينادي بالفرعونية بديلاً عن الإسلام. ومن بعد رافع كان (طه حسين) في الشعر الجاهلي وكتابه (مستقبل الثقافة) في مصر وفي مرآة الإسلام[١].

- ولعل من أسوأ الأمثلة لهذا النمط أن (قاسم أمين) بعد أن درس في مدرسة الحقوق المصرية ذات المناهج الفرنسية، وتخرج منها في سنة ١٨٨١م ذهب إلى فرنسا ليستكمل تعليمه العالي، متزوداً من تعاليمها ولما شاهد الفنون الفرنسية ومتحف (اللوفر) كتب يقول: " لعل أكبر الأساليب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة: التمثيل والتصوير والموسيقى.. وهذه الفنون ترمى جميعاً على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي (تربية النفس) على حب الكمال والجمال. فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور "[٢].

٣- إنشاء المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية: لقد كان لهذا الإنشاء عدة أهداف مثل (مؤتمر أدنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠م وحضره ١٢٠٠ من المندوبين وتفرع إلى ثماني لجان، وخاضت اللجنة الثالثة منها في (الأعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون) واكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت: " اتفقت آراء سفر الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها "[٣].

وصرح القائد الفرنسي الجنرال (بيير كيللر) عن وسائل التأثير الفرنسي في الشام قبل احتلاله يقول: " فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريباً في أيدينا، وفي بداية حرب

---

(١) انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٤، ٦٥.
(٢) انظر: د. عبدالستار فتح الله سعيد. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. ص٨٢.
(٣) انظر: أ. ل. شاتليه. الغرة على العالم الإسلامي. نقله إلى العربية: مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب. ط٢. جدة (د. ت). ص١١٩.

عام ١٩١٤م كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا، وكان بين هؤلاء فتيات ينتمون إلى عائلات إسلامية عريقة، مما جعل الجمعية المركزية السورية التي تألفت في باريس تعلن عام ١٩١٧م أن جميع ميول السوريون وعواطفهم تتجه نحو فرنسا، بعد أن تعلموا لغتها، وخبروها على مر الأجيال، وتأكدوا من إخلاصها وتحردها ".

ويقول أيضاً: " إن كلية عينطورة في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية.

ويقول: " إن مؤسساتنا تعمل دون ملل لتغذية النفوذ الفرنسي مثل: معهد الدراسات العبرية في القدس، ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة، والمدرسة الإكليركية الدومينيكانية في الموصل.. الخ "[١]. وكذلك إنشاء الكلية الإنجيلية في بيروت، وأنشأ الجامعة الأمريكية في مصر[٢].

٤- الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم المختلفة لإشعال الغرائز والشهوة: لقد كان هذا الاختلاط في كثير من الأحيان مدعوماً بتخطيط ماكر، ليؤدي دوره (التربوي) الخطير، وليحقق التغيير المطلوب، ويكفل له الاستمرار والاستقرار بواسطة طبقة جديدة من المجتمع. وعلى سبيل المثال نجد اللورد (كرومر) عميد الاحتلال الإنجليزي في مصر ويقترح في هذا الصدد: " أن يكون هناك نظام مدبر لعرض وجهات النظر، التي تبدي عطفاً معقولاً على المصريين، عن طريق أفراد من المشتغلين بالسياسة الشرقية – لا عن طريق الحكومة – وكان يؤمل من وراء ذلك أن تجد أجيال المصريين المقبلة، من الحكمة وسعة الأفق – حسب تعبيره – ما يحفزها للعمل بصبر وإخلاص مع الأوربيين الذين يعطفون عليهم، حتى يستطيعوا متعاونين وضع مثل عليا جديدة تحل محل المثل الأعلى للمسلم المتدين، الذي لم يعد صالحاً لهذا الزمان حسب زعمه "[٣].

---

(١) انظر: د. محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ط٢. ج٢. ص٢٦٤.
(٢) انظر: د. علي جريشة. أساليب الغزو الفكري. ص٦٦.
(٣) انظر: محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. جـ١. ص٢٤١.

وقد حدث الاختلاط بين البنين والبنات في معظم بلدان العالم الإسلامي في المرحلة الابتدائية وفي بعضها في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وفي أغلبها في المرحلة الجامعية، وترتب على الاختلاط ما ترتب من عيوب ومآخذ وابتعاد عن منهج الإسلام في تنشئة البنين والبنات في ظروف تحفظ لهم حياءهم وكرامتهم الإنسانية وتصون أنوثة الانثى ورجولة الرجل من الابتذال والامتهان[١].

٥- التوسع في تعليم البنات من غير تخطيط إسلامي وكشف الحجاب عنها تحت دعاوي التحرر والتمدين.

٦- تطوير المناهج (تمييعها): لقد نادى بذلك (اللورد كرومر) وخلفاؤه من بعده من تطوير الأزهر، ومناهج الدين في التعليم العام.

اعترافات بعلمنة التعليم:

توجد عدة شهادات تؤكد علمنة التعليم، من أهمها ما يلي:

١- يقول (جب): إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية في عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال إلى الدراسات العالية.. فقد انتشر في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية ولا سيما تركيا وسوريا ومصر، يرجع غالباً إلى جهود جمعيات تبشرية مسيحية مختلفة.. هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة. وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذ الخطة إلى أبعد من ذلك بإنماء التعليم العلماني تحت إشراف الإنجليز في مصر والهند[٢].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إدارة الثقافة والنشر بالجامعة. ١٩٨١م. ص١١٩.

(٢) انظر: د. علي جريشة. الاتجاهات الفكرية المعاصرة. صـ١٠٥، ١٠٦.

٢- ويقول (زويمر) عميد المبشرين في (مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ): "لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن ١٩ إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وأنكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها.. وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية"(١).

ويقول أيضاً: " إن أهم الأساليب لتدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني "(٢).

٣- يقول طه حسين: " التعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوربي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوربياً لا تشوبه شائبة"(٣).

ويقول: " أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم ولنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يجب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاقب، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوم الأشياء كما يقومها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها "(٤).

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٠٦، ١٠٧.
(٢) انظر: د. جلال العالم. قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله. ط٢. ١٣٩٥م. ص٥٣.
(٣) انظر: طه حسين. مستقبل الثقافة في مصر. ص٣٨.
(٤) انظر: نفس المرجع. ص٤٤

فهرس المراجع :

١- البرت حوراني. الفكر العربي في عصر النهضة. ترجمة: كريم عزقول. دار النهار. لبنان ١٩٦٨م.

٢- الرافعي. عصر إسماعيل. ج٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م.

٣- إسماعيل مظهر. وثبة الشرق. بحث في أن العقلية التركية الحديثة هي مثال العقلية السليمة التي يجب أن ينتحلها الشرق ليجاري سير الحضارة العالمية. دار العصور للطبع والنشر. القاهرة ١٩٢٩م.

٤- تاريخ البشرية. المجلد السادس، ج٢. ترجمة: عثمان نويه وآخرين. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

٥- جون هرمان راندال. تكوين العقل الحديث. ترجمة: د. جورج طعمة. ج١. دار الثقافة – بيروت ١٩٦٥م.

٦- د. برهان غليون. المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات. ط١. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت ١٩٧٩م. ص ٥٧,

٧- د. مي سمير عبده متولي. العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر. المكتب العربي للمعارف. ط١. القاهرة ٢٠١٣م.

٨- د. السيد أحمد محمد فرج. (علماني وعلمانية، تأصيل معجمي). مجلة (الحوار) عدد ٢. سنة ١٩٨٦م.

٩- د. عزيز العظمة. العلمانية من منظور مختلف. ط١. مركز دراسات الوحدة المربية. بيروت ١٩٩٢م.

١٠- د. فؤاد زكريا. الصحوة الإسلامية في ميزان العقل. ط١. دار الفكر للدراسات والنشر. القاهرة – باريس. ١٩٨٩م .

١١- د. شبلي العيسمي. العلمانية والدولة الدينية. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٦م.

١٢- د. محمد مصطفى الشناوي، د. خالد إبراهيم حسب الله. المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية. ١٩٩٧م.

١٣- د. محمد كمال ضاهر. الصراع بين التيارين الديني أو العلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر. ط١. دار البيروني. بيروت ١٤١٤هـ .

١٤- د. محمد النويهي. الدين وأزمة التطور الحضاري. أعمال ندوة. الكويت ١٩٧٤م.

١٥- د. زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي. دار الشروق ١٩٧١م.

١٦- ساطع الحصري. الأعمال القومية لساطع الحصري. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٥م.

١٧- عبدالرحمن النقيب. أزمة التربية الخلقية في مصر. بحث غير منشور. تقدم به إلى كلية التربية جامعة عين شمس .

١٨- على أحمد سعيد (أدونيس). الثابت والمتحول. ط٤. دار العودة. بيروت ١٩٨٣م.

١٩- عرفة. نقد مطاعن في القرآن الكريم يتضمن تفنيد ما ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب في الجامعة المصرية.

٢٠- طه حسين. في الشعر الجاهلي. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٦م.

٢١- طارق البشري. المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية. دار الوحد. بيروت ١٩٨٢م.

٢٢- علي عبدالرازق. الإسلام وأصول الحكم. بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام. ط٢. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٢٥م.

٢٣- مجلة المصور. عدد (٣٠٧٦) في ٢٣/) سنة ١٩٨٣م. والعدد (٣٠٧٧) في ٣٠/) سنة ١٩٨٣م.

٢٤- مجلة العربي. عدد ٣١٦. الكويت ١٩٨٥م.